

Jordan, June 12th 2004

الروائي العالمي باولو كويلو لـ `الدستور` : `ألف ليلة وليلة` أعانتي على فهم روحانية الشعب العربي وإكبارها

* أعيش في منزل بسيط وأحافظ على البساطة في حياتي

الدستور - حاوره عبر الإنترنت: إلياس محمد سعيد

"باولو كويلو ليس واحداً من أكثر الكتاب انتشاراً فحسب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك من أشد الكتاب تأثيراً في عالمنا". هذا ما قالته عنه لجنة تحكيم جائزة بامبي التي تعتبر من أكثر الجوائز الألمانية هيبة وأرفعها مقاماً. وكان ذلك في الحفل الذي أقيم في مدينة برلين بمناسبة تسلمه الجائزة التي حصل عليها عام 2001 عن مجمل أعماله. باولو كويلو، الذي يراه البعض خيميائياً للكلمات، ويراه الآخرون ظاهرة ثقافية جماهيرية، يعد الكاتب الأقوى تأثيراً في القرن الحالي. وقد جعل منه القراء من نحو 150 بلداً، بصرف النظر عن معتقداتهم وثقافتهم، الكاتب المرجعي لعصرنا. أما أعماله التي ترجمت إلى 56 لغة، فلم تكف باعلاء قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، بل أصبحت موضوع الجدل الإجماعي والثقافي. كما أن الأفكار والفلسفة والقضايا المحورية التي تناولها في كتبه ألهمت الملايين من القراء لكي يبحثوا عن دروبهم الخاصة وطرائقهم الجديدة لفهم العالم.

ولد باولو كويلو عام 1947 في البرازيل لأسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة. وقد أراد له والده، أبوه بيدرو الذي يعمل مهندساً وأمه ليغيا ربة البيت، أن يصبح مهندساً، لكنّ روحه ظلت وثابة نحو الأدب، فلم يتمخض تعنتهما وتصلبهما أو محاولتهما لتغيير مجرى المستقبل الذي اختاره باولو لنفسه إلا عن مزيد من التصميم والإرادة لتحقيق ذاته. هكذا، ظل كويلو يركض خلف أحلامه، ويزداد تشبثاً بها. وما كان من اكتشافه لرواية هنري ميللر "مدار السرطان" إلا أن يثير فيه روح التمرد، فأخذ يهزأ بالمقررات العائلية على نحو متواصل حتى ذهب الأمر بوالده إلى أن يعتبر تصرفاته علامة على مرض عقلي. فتعرض كويلو وهو في السابعة عشرة من عمره للذهاب إلى مستشفى للأمراض النفسية مرتين حيث خضع إلى جلسات عديدة من العلاج.

انخرط كويلو بعد ذلك بوقت قصير مع جماعة تعمل في المسرح وبدأ العمل في مجال الصحافة. لكن المسرح في ذلك الوقت كان يُنظر إليه بوصفه مرتعاً للأخلاقيات، فقرر والده أن يخضعه مرة ثالثة للعلاج النفسي. وبعد خروجه من المشفى أصبح أكثر ضياعاً وأكثر انغلاقاً على عالمه الداخلي. ثم قرر بعد كل هذه التجارب أن يعود للدراسة مكرهاً نفسه على خيار والديه. لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث انسحب من مقاعد الدراسة وعاد للعمل في المسرح. كان ذلك في ستينيات القرن المنصرم حين أخذت ظاهرة الهيبيّين بتكريس وجودها على المشهد العالمي. فكان لوصولها إلى البرازيل أثر عميق على باولو كويلو الذي أطال شعره، واتخذ قراراً قاطعاً بعدم حمل بطاقته الشخصية رغم النظام العسكري القمعي آنذاك. وفي تلك الفترة دعاه العازف والموسيقي راؤول سيكساس أن يكتب له بعض الأغاني. فكانت أول مرة يكسب فيها كويلو مبلغاً هائلاً من المال بعد بيع 500 ألف نسخة من الكاسيت

الثاني لهما. واستطاع هذا الثنائي أن يغير وجه أغنية الروك في البرازيل. كتب باولو كويلو أول كتبه بعنوان "الحج" عام 1987، ثم أتبعه برواية "الخيماي" ، ليصدر بعد ذلك 15 كتاباً منها "الجبل الخامس"، "رسائل حب من نبي"، "مكتوب"، "بالقرب من نهر بيدرا"، "فيرونكا تقرر أن تموت"، وأخيراً "إحدى عشرة دقيقة".

*** ينبعث من عملك الإستثنائي "الخيماي" التأثير بـ "ألف ليلة وليلة". ما هي صلتك بالأدب العربي؟ وإلى أي حد تأثرت به؟**

ينشئ الإنسان علاقاته مع الثقافات عن طريق الفن. إن الفن هو أهم جسر يربط بين مختلف الحضارات. و"ألف ليلة وليلة"، بالإضافة إلى معظم النصوص العربية الكلاسيكية، أعاننتني على فهم روح الشعب العربي وإكبارها.

*** لماذا تميل إلى البساطة في أعمالك وفي أسلوبك السردي؟ هل لهذه النزعة علاقة بالتعقيد الذي أنتجته الإنجازات التكنولوجية لحقبة "الدوت كوم" التي نعيشها؟**

ذهبت، في شهر تموز من عام 1986، إلى سانت جان دوبورت في جنوب غرب فرنسا من أجل الشروع في رحلة جماعية سيراً على الأقدام تنقلنا عبر مرتفعات بيرنيه ثم نقطع شمال إسبانيا جميعه حتى نحط الرحال أخيراً في سننتياغو دو كومبوستيلا التي تقع بالقرب من غاليسيه في الساحل الشمالي - الغربي لإسبانيا. وهذه الرحلة تشبه تماماً تلك الرحلة التي على كل مسلم من أهل الإيمان أن يقوم بها ولو مرة واحدة في حياته حين يشرع بالحج إلى مكة بالطريقة التي حج بها محمد من المدينة إلى مكة.

هكذا، فقد كان المسيحيون في الألفية الأولى يعتبرون الطريق الذي سلكناه طريقاً مقدساً. وبدا أن الرحلة تبعث على الروع والرهبنة، حيث سنقطع مشياً 700 كيلومتر. وكان من الممكن أن نقطع هذه المسافة في ثلاثين يوماً، بيد أنها استغرقتنا 56 يوماً. ولقد كان السفر شاقاً في بادئ الأمر كانت حمولتي زائدة بإفراط، حيث أخذت معي كثيراً من المعدات، وظللت أتساءل: "ما الذي أفعله هنا؟" في بعض الأحيان كانت الأراضي الممتدة تشبه الصحراء، فهي قاحلة ومغبرة، والحرارة شديدة. أما وجبات الطعام فقد كانت في العادة زهيدة، والأيام الطويلة منهكة ومضنية. ما ساعدني هو أن بيتروس، دليلي ومرشدي في تلك الرحلة، وكان من الجماعة الأخوية أو جماعة الرهبنة، أخذ يشرح لي، فيما هو يسير، الغاية من ذلك الحج بطريقة ظلت تثير اهتمامي حيث قال: عندما تسافر فإنك - وبطريقة عملية جداً - تخوض تجربة الإنبعاث أو أن تولد ثانية من جديد.

وتصبح كلياً في مواجهة أوضاع جديدة. اليوم يمر ببطء، وفي معظم الرحلات لا تفهم حتى اللغة التي يتخاطب بها الناس. لذلك تكون كالطفل الذي خرج للتو من الرحم. ولأن الأشياء جميعاً جديدة، فلن ترى إلا الجمال الذي يكمن فيها، وتشعر بالسعادة لأنك حي. لقد كان الحج الديني على الدوام أكثر الطرق موضوعية للوصول إلى القدرة على التبصر وامتلاكها. وتستطيع أن ترى الأشياء على نحو أكثر وضوحاً لأنك تكون بعيداً عن المشاحنات ورتابة حياتك من يوم إلى يوم. لقد نصحتني أن الانتباه إلى الطريق عندما تقصد هدفاً ما، سواء أكان سنثياغو أم مكاناً آخر غيرها، أمر أساسي، يمكنك أن تقارنه بالعملية الجنسية، فالملاحظة والترتيب والعناق التي تحدث في بداية العملية، تقوم بتحديد مدى كثافة لحظة الذروة ومدى قوتها. إنه الوضع نفسه حين يكون لديك هدف في الحياة. فلسوف ينتهي في مختلف الأحوال والظروف معتمداً على المسلك أو الطريق الذي تختاره للوصول إلى الهدف وعلى الطريقة التي تتم وتنجز بها مشوارك. كل هذه الأشياء تعلمتها فيما نحن نجول مرتحلين. ويمكنني الآن، في ضوء الإدراك المؤخر أو إدراك طبيعة الحادثة بعد وقوعها، أن أقول إنه عندما تشرع في رحلة الحج فعليك أن تولي الاعتبار إلى أربعة عناصر: أولاً عليك أن تتعلم الاعتماد على الآخرين. ثانياً، سافر بحمولة خفيفة فلا تأخذ معك أكداً من الأشياء. ثالثاً، حافظ على سرعة سيرك الخاصة، فقد تشعر بالملل إذا سرت مع حجاج يمشون ببطء، أو قد تشعر بالتعب إذا كانوا يمشون بسرعة لا تقدر عليها. وأخيراً، أبق على هدفك نصب عينيك ولكن استمتع بالطريق. وهذه المبادئ الأربعة لا تقتصر على الحج، إنها مجازات رائعة تتسحب على الحياة، وهي مبادئ ما زلت مؤمناً بها وما زلت أتبعها. ولقد علمني الحج أن أحافظ على البساطة في حياتي اليومية. مثلاً، عندما انتقلت إلى بيتي في بيرنيه قبل ثمانية شهور فكرت أن اشتري كل الأرض المحيطة به. ولكن بعد ذلك تساءلت: لماذا؟ أمن أجل أن يأتي الناس ويقولوا إن باولو كويلو رجل ثري؟ كان بإمكانني أن اشتري قلعة، ولكني لم أكن بحاجة إلى أن أترك انطباعاً قوياً بأنني ثري. إضافة إلى أنه يسهل العيش في منزل بسيط بعدد قليل من الغرف.

*** لقد حققت "الخيميائي" مبيعات على نحو لم يسبق له نظير. كيف تفسر ذلك؟**

أعتقد أن كل ما نراه، أن كل ما يقع أمامنا، ما هو إلا الجزء المرئي من الواقع. ولكن لدينا الجانب غير المرئي للواقع. مثل العواطف والمشاعر. وبهما معا يتمثل إدراكنا الحسي للعالم. ولكن الله موجود في كل شيء. وكما يقول وليام بليك فهو موجود "في حبة رمل وفي زهرة". هذه الطاقة تكمن في كل مكان. إن الكتاب يطرح هذه الفكرة، والناس يدركون.

* لماذا تعتقد أن مبيعاتك في الولايات المتحدة مختلفة؟

أنا لا أظن ذلك. فقد بيع في الولايات المتحدة وحدها 1.5 مليون نسخة.

Copyright 2004 Addustour

sant
Jordi
asociados
agencia
literaria

Arquitecte Sert 31, 5º-1ª
08005 Barcelona - Spain
Tel: +34 93 224 0107
Fax: +34 93 225 4539
www.santjordi-asociados.com
Email: info@santjordi-asociados.com